حكايات نحبها جميعاً

٥

إنها صوّامة قوّامة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

بيئةٌ صَالحةٌ طَيِّبـةٌ

بَعدَ صَلاةِ التَّراويحِ في مَسجدِ الحَيِّ ، عادَ الأولادُ معَ أَبيهِم إلىٰ البَيْتِ ، فَهُمْ على مَوعدٍ معَ طَبَقِ الحَلويَّاتِ الذي تُقدِّمهُ والدتُهُمْ مَساءَ كلَّ يومِ جُمُعةٍ ، وما هِيَ إلاّ دَقائقُ مَعدودةٌ حتّىٰ تَحلّقَ الجميعُ حَولَ المَائدةِ ، وراحُوا يَتَنَاوَلونَ الحلويّاتِ على بَركةِ اللهِ..

وكعادةِ (نائلةَ) في كثرةِ الأسئلةِ ، قالَتْ: لِماذا لا نَستَغِلُّ هذا الفراغَ فِي مُشاهَدَةِ أَحَدِ برامجِ التِّلفاز؟

وضحكَ الجَمِيعُ على اقتراحِها ، وقالَ عَمُّهَا

الأُستاذُ (نَاجي): أنا أفضّلُ أَنْ يكونَ ذلكَ بعدَ الانتهَاءِ مِنْ أَكْلِ الحلويَّاتِ..

فَقالَتْ (نائلة): إذاً فلنتسابَقْ في ذلِكَ! هَيّا.. فالمجْتَهِدُ هُوَ الذي يُنهِي حِصَّتهُ من الحَلويَّاتِ!!

وَبعدَ رُبعِ ساعةٍ أشارَ الأُستاذُ إلى ابنهِ أَنْ يُديرَ مفتاحَ التِّلفازِ.

وشاهدَ الجميعُ بَرنامجاً تَربويّاً رائِعاً مُلخَّصُهُ:

إنَّ الشَّريعةَ الإسلاميةَ تُركِّزُ على مَسْألَةِ اختيارِ البِيئةِ الصَّالحةِ الطَّاهرةِ عندَ الزَّواجِ ، وذلكَ لمَا لها من تأثيرٍ في حياةِ الإنسانِ.

ولذلكَ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «تخيَّرُوا لِنُطفِكُمْ فإن العِرْقَ دَسَّاسٌ».

وقالَ: «تُنْكَحُ المَرأةُ لأربعٍ: لِمَالِها وجَمالِهَا ،

ولِحَسَبِهَا ، ولدِينِهَا ، فاظْفَرْ بِذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ».

وقالَ: «إذا أَتاكُمْ مَنْ تَرضَوْنَ دينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، أَلاّ تَفعَلُوا تَكنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرضِ وَفسادٌ عَريضٌ».

فَالوَلَدُ الذي ينشأُ فِي بيئةٍ طاهرةٍ ، يَرىٰ أَمامَهُ أَباهُ وهوَ يُصلِّي للهِ تعالى ، ويَرىٰ مُنذُ صِغَرِهِ والدتهُ وهيَ تقرأُ القُرآنَ الكريمَ ، ولا يسمعُ إلاّ الكَلامَ الحَسَنَ ، إنَّ هَذا الولدَ حَتماً ستُغرسُ في نفسهِ الفَضائلُ والمَكارِمُ ، والعَكسُ صحيحٌ أيضاً.

مثالُ ذلكَ أمُّ المؤمنينَ حَفصةُ بنتُ عُمَر رضي اللهُ عنهمَا.

فوالِدُهَا الفاروقُ عُمَرُ ، وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي

السَّبقِ إلى الإسلامِ ، وتقديمِ الغالي والنّفيسِ فِي خِدمَةِ الإسلامِ ، فَلقدْ وهبَ حياتَهُ للذَّودِ عَنِ الرّسولِ ﷺ.

حتَّى أضحىٰ وزيرَ رسولِ الله ، وصهرهُ ، وكانَ المُبَشَّرَ بالجنَّةِ.

والدتُها السَّيدةُ زينبُ بنت مَظْعُونٍ ، أُختُ الصَّحابيِّ عُثمان بنِ مَظعُون.. رضيَ اللهُ عَنِ الجميع.

وعمَّتُها السَّيِّدةُ فاطمةُ بنتُ الخطَّاب ، زوجَةُ الصَّحابيِّ سَعيد بن زَيدٍ..

وعمُّها الصَّحابيُّ الشَّهيدُ زيدُ بن الخطَّابِ ، وأخوهَا الصَّحابيُّ عبدُ اللهِ بنُ عُمر.

إذاً: كَيفَ يكونُ حالُ السَّيدةِ حَفصَةَ ، وَالتي

obeikandl.com

نَشَأَتْ وتَرعْرَعَتْ فِي تِلكُـمُ البِيئَةِ الطَّاهرةِ الصَّالحة؟!

إنَّهُ القَضاءُ والقَدَرُ يا عُمَر!!

فِي الصَّباحِ الباكرِ انطلقتْ (نَاهدٌ) إلى المَكتبةِ التَّاريخيَّةِ تُريدُ البَحْثَ عن ترجمةِ السَّيِّدَةِ حَفصَةَ ، لتتعرَّفَ على تِلْكُمُ الصَّحابيةِ التي نَشَأَتْ فِي بيتِ العِلمِ والأخلاقِ والأَدَبِ.

وَوُفِّقتْ إلىٰ بَعضِ المصادرِ والمراجعِ ، فقامَتْ بنقلِ بعضِ المُقْتَطَفاتِ عن حياتِها ، وكانَ هذا المُلخَّصُ المُفيدُ:

تعلَّمتِ السَّيدةُ (حَفصَة) القراءَةَ والكِتابةَ على يدِ (الشِّفاءِ بنتِ عبد اللهِ القُرَشيَّةِ العَدَويَّةِ)، واهتمَّتْ بالأدبِ ، حتَّى غَدتْ إحدَىٰ فصيْحَاتِ

النِّساء في قُريش ، ولمّا أصبَحَتْ فِي رَيعَانِ الصِّبا تَزوَّجَهَا الصَّحابيُّ الجليلُ (خُنيسُ بن حُذاقَةَ) رضي اللهُ عَنْهُ ، وهوَ منَ السَّابقينَ إلى الإسلامِ.

وتَحمَّلتْ (حَفْصةُ) معَ زَوْجِهَا بلاءَ قُريشٍ واستهزاءَهُمْ وما إلى هُنالكَ ، حتَّى كانتِ الهِجرةُ إلى المدينةِ المُنوَّرةِ ، فسافرتِ مع زَوجِها.

لَكِنْ ما هِيَ إلاّ أَشهرٍ حتَّى كَانَتْ غَزْوةُ بدرٍ ، فقاتلَ (خُنَيسٌ) قتالَ الأبطالِ ، وعندمَا انتهَتِ المعركةُ وكان النَّصرُ للمُسلمينَ ، التفتَ الرّسولُ ﷺ إلى الجَرحىٰ ، فوجدَ من بينهم (خُنيس) فأمرَ الرّسولُ ﷺ بأنْ يُحملَ إلى المَسجدِ النّبويِّ ، ولكنّهُ ماتَ مُتأثّراً بِجرَاحِهِ ، فصلّىٰ عليهِ الرّسولُ ودَفنَهُ في البَقيعِ..

فَحَزِنَتِ السَّيدةُ (حَفصَةُ) على زَوجِهَا حُزْناً

شديداً ، لكنَّ الشَّريعةَ تُطالِبُنَا بالصَّبرِ والثَّباتِ والإكثارِ من قولِ: لا حَول وَلا قوَّةَ إلاّ باللهِ..

وَهكذا كانَ ، فَصبرتِ المرأةُ واحتسبَتْ ذلكَ عِندَ الله.

وذَاتَ يومٍ زارَ الفاروقُ عُمَرُ صَديقَهُ عُثمانَ ، فنظرَ إلى وضعِ بيتهِ وقد ماتت زوجتُهُ السَّيدةُ رقيّة ، فقال لهُ مواسِياً: يا عُثمانُ! إنْ شئتَ أنكحتُكَ ابنتِي حفصَةَ!

فَلزِمَ عُثمانُ الصَّمتَ.. ثُمّ عَرَضَها على صديقِهِ الصِّدِّيقِ أبي بكرٍ ، فلزمَ الصّمتَ أيضاً.

فغَضبَ عُمرُ، وانطلَقَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فَشكَا إليهِ ما فَعَلَهُ عُثمانُ وأبُو بكرٍ ، فابتسمَ رسولُ الله ﷺ ثمَّ قال: «يتزوَّجُ حفصةَ من هوَ

خيرٌ من عُثمانَ ، ويتزوجُّ عثمان من هي خيرٌ من حفصة».

ودار الزَّمنُ دَورتهُ ، فزوّج رسولُ اللهِ ﷺ ابنتَـهُ أُمَّ كلثـوم مـن عُثمـان ، وأرسـلَ يخطـبُ حَفصةَ لِنَفْسِهِ.. وبذلكَ صَدقتْ نُبوءتُهُ صلواتُ اللهِ عليه.

وعاشَتْ السَّيِّدَةُ (حَفصَةُ) معَ نِساءِ النَّبيِّ ﷺ عيشَةً هَنيّةً لم يعكِّرها هَمٌّ ولا نكدٌ ، إلاّ أنَّهُ ذاتَ يومٍ غَضِبَ مِنْها فَطلَّقها.

ولمَّا علمَ الفاروقُ عُمَرُ بذلكَ ، حثَا على رأسهِ التُّرابَ ، وقال: ما يعبأُ الله بعُمرَ وابنتهِ.

فهبطَ الأمينُ جبريلُ بقوله: «يا رسول الله إنَّ الله يأمركَ أَنْ تَراجعَ حفصةَ رَحمةً لِعُمر». فَراجَعها النَّبيُّ ﷺ.

وهكذا ، حتّى إذا ما انتقلَ رسولُ الله ﷺ إلى الرَّفيقِ الأعلى لَزِمَتْ حُجْرتَها ، لتصبحَ في العَهدِ الرّاشديِّ إحدَى مراجعِ الفقهِ والفتوىٰ.

إِنَّها ابنَةُ أميرِ المُؤمنين

وبعدَ سنواتٍ آلَ الأمرُ إلى والِدِها عُمرَ رضي الله عنه ، فهل تغيَّرَ حالُها؟ أمّ هلْ تفاخرتْ على الآخرينَ بأنَّها ابنةُ أميرِ المُؤمنين؟!

أبداً ، إِنَّما تُحدِّثنا التراجمُ أنَّهُ دخلَ عليها ذاتَ ليلةٍ فقدّمتْ له مَرقاً بارداً ، وخُبْزاً ، وصبّتْ في المَرْقِ زيتاً ، فقال: أُدْمانِ في إناءٍ واحدٍ ، لا أذوقهُ حتَّى ألقى الله!!

فَرفعتْ رأسها فَرأتِ اللّباسَ المُتواضعَ الذي يرتديهِ والِدُها ، فقالتْ: يا أَمِيرَ المُؤمنينَ! لو

لبستَ ثوباً أَلينَ من ثوبِكَ هذا ، وأكلتَ طعاماً ألينَ من طعامِكَ هذا ، فإنَّ اللهَ سُبحانَهُ وسَّعَ عليكَ من الرِّزقِ وأكثرَ من الخَيرِ.

فَقالَ الفَاروقُ عُمَرُ: سأُخَاصِمُكِ إلىٰ نَفسكِ ، أما تذكرينَ ما كانَ رسولُ الله ﷺ يَلقىٰ من شدَّةِ العَيشِ؟

وما زَالَ يُذكِّرُها في عيشِهِمَا الشَّديدِ ويقولُ: لعلِّي أَلْقَىٰ مَعَهُما عيشَهمَا الرَّخيّ.. يعنِي بذلكَ صاحِبيهِ: المُصطفى صلواتُ اللهِ عليه وأبا بكرٍ رضي اللهُ عَنْهُ..

يا لَهَا مِنْ مَكْرماتٍ وفَضَائِل

وَمِنْ فضائِلِها ومناقِبِها:

* كان النَّاسُ يأتونَ إليها لِسَماعِ الأحاديثِ

النّبويةِ ، فقد روتْ عَنِ الرّسولِ ﷺ ستِّينَ حديثاً.

*كانَتْ تُكثرُ من الصّومِ والقِيامِ والتَّهجُّدِ والعبَادَةِ للهِ سُبحانَهُ ، وفي هذا دليلٌ واضحٌ علىٰ صَلاحِها وورعِهَا واتِّصالها باللهِ عزَّ وجلَّ ، ويكفِيهَا ما نَزَلَ بها مِنَ السَّماءِ: إِنَّها صَوَّامةٌ قوَّامةٌ..

وَكَانَ كِبارُ الصَّحابةِ الأَكارِمِ يَسْتَفْتُونَهَا خَاصَّةً فِي الأُمُورِ التي تَتَعلَّقُ بالنِّساءِ ، حتّى إِنَّ والدهَا عُمَر كَانَ يَستشيرهَا في ذَلِكَ.

فَذاتَ يومٍ سَألَها: كَمْ أَكْثَر مَا تَصبِر المَرأَةُ عن زَوْجهَا؟

فَقالتْ: ستَّةَ أو أربعةَ أَشْهُرٍ..

فَأصدرَ أَمراً أَنْ لا يَمْكُثَ الجنديُّ المُتزوِّجُ بَعيداً عَنْ زوجتِهِ أَكثرَ من تِلكَ المدَّةِ.

ـ وفِي زَمَنِ الصِّدِّيقِ أَبي بَكرٍ ، كَثُر اسْتِشهَادُ القُرَّاءِ وحَفَظَةِ القُرآنِ ، فاقترحَ الفاروقُ عُمَرُ على الخَليفةِ أَنْ يُجْمعَ القُرآنُ الكَرِيمُ.

وَشُكّلتْ لَجنةٌ بِرئَاسَةِ الصَّحابيِّ (زَيدِ بنِ ثَابتٍ) ، وقَامَتْ بِمُهمَّةِ جَمْعِ القُرآنِ ، واحتَفَظَ المُسْلِمُونَ بالنُّسخَة فِي بَيتِ السَّيِّدَةِ (حَفْصَة)... حتّى إِذَا مَا كَانَ عَهْدُ سَيِّدنَا عُثمانَ أَخذَ نُسخَةَ المُصْحَفِ من عِندهَا ، وأَمرَ بِنَسخهَا إلىٰ عدَّةِ نُسخٍ ، ثُمَّ أعادَ النُّسخَةَ الأصليَّةَ إلى حَارسةِ كِتَابِ اللهِ ، السَّيِّدةِ (حَفصَةَ) رضِيَ اللهُ عَنها.

* ومِنْ فَضائِلهَا ومَآثرهَا أيضاً علاقَتُها الحَمِيمَةُ مَعَ أُمَّهاتِ المُؤمنينَ ، حتَّى إِنَّ السَّيدةَ عائِشةَ رَضيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ عَنهَا: إِنَّها ابنةُ أبيها..

* وعُـرِفَ عنهَـا الفَصَـاحَـةُ والأَدَبُ ، فَعِنْـدَ استِشْهَـادِ أَبيهـا عُمَـر وَقفتْ لِتَقـولَ: يَـا أبتـاهُ ما يحزنكَ وفادتكَ علىٰ رَبٍّ رَحِيمٍ ولا تَبعَةَ لأَحدٍ عِندكَ ، ومعي لكَ بِشَارةٌ لا أذيعُ السِّرَّ مرَّتينِ ، ونِعْمَ الشَّفيعُ لكَ العَدْلُ ، لمْ يَخْفَ علىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ خُشُونةُ عِيشَتكَ وعَفافُ نهمكَ ، وأخذُكَ بأكظَامِ المُشركينَ والمُفسِدينَ.

إلى جَنَّاتِ الخُلدِ

وَفِـي شهـرِ شَعبـانَ مِـنَ العَـامِ الخـامـسِ والأَربعين من الهجرةِ النّبويّةِ أَسلمتِ الرُّوحِ إِلىٰ بارئها ، فَشيَّعها كِبارُ الصَّحابةِ ، وصلىٰ بِهِمْ أَبو هُريرةَ ودُفِنَتْ فِي البَقِيْعِ ، وكان عُمرُهَا ثلاثاً وسِتِّينَ سنَةً.

فَهَنِيئاً لهَا الجنَّةُ ، مِصداقُ ذلكَ قولُ النَّبيِّ

صَلواتُ اللهِ عليه: «أَزْوَاجِي فِي الدُّنيا هنَّ أزواجِي فِي الآخرةِ».

فرضيَ اللهُ عَنْهَا.. وَعن أَبيهَا.. وعن ذُرِّيَّتهَا..

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

obeikandl.com